من مبادئ الدعوة الإسلامية

تحرير الإنسان من سوء التبعية

أ.د/ أبو المجد السيد يوسف نوفل
وكيل الكلية

تمهيد :

تناولت فى حولية كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية ، الجزء الثانى العدد السادس سنة ١٩٨٦ م ١٤٠٦ هـ . هذا الموضوع (١) ، وذكرت أن له بقية . وها أنذا أذكر هنا من هـــذه البقية بعض ما قدرت عليه .

---

(١) وهو يحتوى على النقاط التالية :

— قيمة هذا البحث فى مجال الدعوة إلى الله تعالى .

— إعلان القرآن الكريم والسنة المطهرة الحرب على هذه التبعية البغيضة .

— بيان تبعية الحق وتبعية الباطل ، وأسباب كل ...

— من مقومات التربية الإسلامية للشخية الإسلامية ، فالإنسان خليفة الله فى أرضه وهو حر فى دائر الخلوقيـة ، متحمل وزر نفسه ، مسئول عن عمله ...

— تحذير الإسلام من سوء التبعية .

— المتبوعون الكذابون ، والتابعون الفاسقون ....

— استهزاء الرؤساء بالأتباع ، واستهزاؤهم بالأكاذيب .

— المتبوع المضل والتابع الضال ملعونان

— الرؤساء الماكرون ، والمرءوسون المجرمون .

ولا أزعم بذلك أني أتممت الموضوع ، إذ أنه في حاجة ماسة لا إلى بحث أو بحثين أو ثلاثة ... بل إلى مؤلفات ، وموسوعات ، لأنه موضوع واسع المدى مترامى الأطراف ، خطير الشأن في حياة الأفراد ، والجماعات. يتعلق بكيان الإنسان ، وشرفه ، وحريته وحقه في حياة عزيزة ، لا ذلة فيها ولا خنوع ، ولا حجر فيها على رأى ، ولا مصادرة فيها لفكر أو معتقد ... حياة أبية ، لا مكان فيها لهذا الصنف المخزى من البشر الذى يتبع غيره دون وعى ، أو تفكير ، وعلى غير هدى وبصيرة .

وهذه هى حياة المجتمع الفاضل الذى يقود ، ولا يقاد ، ويأمر ، ولا يؤمر . ولا يأمر إلا بالمعروف ، ولا ينهى إلا عن المنكر ، ولا يتعدى حدود الله تعالى .... إنه مجتمع الحرية ، وهو الذى جاءت الأديان السماوية الصحيحة لإيجاده ، ودعت إليه ...

الأنبياء عليهم السلام قوة حرة قبل الأنباء وبعده :

إن المصطفين الأخيار صلوات الله عليهم وسلامه ، هم المتصفون برجاحة العقل ، وصواب الرأى وقوة الحجة ، ومضاء العزيمة وصلابة الإرادة ... لن تجد فيهم إمعة ، ولا منقادا لغيره عن جهل ، وهوى .... ثم أصل فيهم اصطفاء الله تعالى لهم هذه الصفات ، فعلموها الناس ، وربوهم عليها ، وخلعوهم من عبودية غير الله تعالى إلى عبودية رب العالمين ، ومن الاعتزاز بالأموال ، والجاه ... إلى الاعتزاز بمالك الملك وواهب الحياة جل شأنه .

عارض خليل الرحمن أباه في عبادته الأوثان ، ودعاه إلى عبادة الله وحده ... وحاج الملك الكافر « ... فبهت الذى كفر ... »(١)

---

(١) البقرة ٢٥٨

وكان حفيده يوسف عليه السلام هو العزمة الصادقة التى قصمت ظهر الرذيلة ، وقاومت خيانة زوجة العزيز ؛ بأمانة المسلم ؛ العف ، الطاهر ..

« .. معاذ الله إنه ربى أحسن مثواى إنه لا يفلح الظالمون » (١)

وينشأ موسى عليه السلام ؛ فى بيت الشرك والطغيان ... فلا يتأثر من ذلك بشىء . وما يخضع لعادات بيئة كافرة : ولا يتطبع بطباع مجتمع فاسد .. ثم يواجه فرعون وقومه وعلماءه ... يوم الزينة ؛ ويتحدى دولة بأكملها ... فيهزمها ؛ وينصر دين الله ..

وتضىء أنوار التوحيد نفوس السحرة ؛ وتقضى على مافيها من ذل التبعية لفرعون وشركه ؛ وتزودهم بطاقات جديد ؛ دفعتهم إلى الثبات على الحق فى وجه فرعون ووزرائه وجعلتهم يجهرون بخروجهم من عبادة فرعون إلى عبادة رب العالمين .

« قالوا آمنا برب العالمين . رب موسى وهورن »(٢)

ويتغلغل التوحيد فى أعماق السحرة فيحولهم إلى قلاع من الصبر ؛ والثبات ؛ والتحدى . فى مواجهة القوى المدججة بالسلاح . ويعلنون عن ذواتهم الجديدة ؛ واعتزازهم بالله ؛ واستهزائهم بإلههم القديم ؛ لن نعبدك ؛ ولن نؤثرك على الله تعالى ؛ بعد ما تبين أنه الحق ؛ ولن نخاف تهديدك لنا بتقطيع أيدينا ؛ وأرجلنا ؛ وتصليبنا فى جذوع النخل .

« لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذى فطرنا فاقض ما أنت قاض إنما تقضى هذه الحياة الدنيا . إنا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر والله خير وابقى »(٣) .

---

(١) سورة يوسف آية ٢٣

(٢) سورة الشعراء آية ٤٧ ؛ ٤٨

(٣) سورة طه آية ٧٢ ، ٧٣

وعيسى عليه السلام . كان أول ما نطق به بعد ولادته ، أن أعلن عبوديته لله تعالى وحده ، وأنه ليس عبدا لأحد سواه .

« قال إني عبد الله . . » (١)

ومحمد ﷺ ، كان قبل النبوة ، يفر بنفسه من قومه ، ويعتزلهم ، كارها ما هم عليه من شرك ، ووثنية ، ليتفكر في آيات الله ، وحبب إليه غار حراء ليعبد الله تعالى فيه على دين إبراهيم عليه السلام ، وكان قبل نبوته عليه السلام هو المشهود له من أهله وقومه بالأمانه والصدق ، وهو الذي وقف من أهله وعشيرته بعد النبوة وقفاته الصلبة وقد عرضوا عليه المال ، والمنصب ، كي يترك دعوة التوحيد ، « والله ياعم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ماتركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه » (٢)

وهكذا سائر الأنبياء عليهم السلام ، طاقات نورانيه ، تبدد ظلام العقول ، وتشرق على النفوس والأرواح فضائل ، ومثلا عليا .

وسار على نهجهم ، تلاميذهم ، ومن تبعهم بإحسان ، رفعوا راية الحق ، وبذلوا من أجل الإسلام كل مرتخص وغال ، وتعرضوا في سبيله لأشد أنواع العذاب ، فما لانت لهم قناة ، ولا فترت فيهم همة ، وما وهنوا ، وما استكانوا في مقاومتهم أعداء الله تعالى ، بل ثبتوا ، وصبروا وصابروا حتى نصرهم الله تعالى نصرا مؤزرا .

هذا عبد من عبيد أمية بن خلف ، عدو الله ورسوله ، وهو خادم ، يؤمر فيطيع ، وحياته بالليل هم ، وغم ، وبالنهار كدح ونصب .

ثم ينتقل من عبودية سيده اللعين إلى عبودية رب العالمين . ويستضيء قلبه بأنوار التوحيد ، فيشعر لأول مرة في حياته أنه إنسان ، كريم ،

---

(١) سورة مريم آية ٣٠

(٢) سيرة ابن هشام .

عزيز . فيستعذب العذاب فى سبيل دينه الحق، ويرصد روحه لمولاه جل وعلا وهيهات هيهات أن يرده عن ذلك شىء . . يعذبه أمية بن خلف ويمنع عنه الطعام ، والماء ، ويطرحه مقيدا على الرمال الملتهبة ، ويضع على صدره الحجر الكبير ، ليكتم فيه أنفاسه ، ويفعل ذلك به مرارا ، ثم يأمره أن يعود إلى عبادة الأوثان ، حتى يكشف عنه العذاب .

لكن بلالا لم يسمعه ، ولم يستجب لأمره ، لأول مرة فى حياته ، إذ أنه لم يعد تحت سيطرته ، ولا سلطان لأحد غير خالقه عليه ، فهو يعيش فى كنفه ، وتحت سمعه وبصره فكان يردد « أحد أحد » كلمة التوحيد الخالص ، أوقعها على أم رأس أمية اللعين وأمثاله ، صاعقة دمرت كبرياءهم ونسفت فيهم كل أمل فى خضوع عبيدهم لأوامرهم .

كانت « أحد أحد » ولا تزال ، ولن تزال ، هى الأذان الروحى الذى يعلن للناس فى كل زمان ومكان ، أن حى على الثبات ، والإباء . ومرحى للتعذيب من أجل الحق ، وسخطا وسحقا لكل متع الراحة والأمن فى ظل العبودية والطغيان .

وهذا أبو بكر الصديق ، رضى الله عنه ، إرادة حازمة ، وعزيمة ماضية ، وتفان فى حب الله وحب رسوله ﷺ ، يلح على الرسول ﷺ فى الظهور بين المشركين ليدعو إلى الله تعالى ، ثم يأذن له الرسول ﷺ بذلك ، فيقف أبو بكر ليكون أول خطيب للإسلام بعد رسول الله ﷺ غير مبال بما يصيبه ولا بما ينتظره من العذاب ، ويضرب أبو بكر ، ويطأه المشركون ، ويقبل عتبة بن ربيعة ويضربه بنعلين مخصوفتين ، ويحرفهما لوجهه ويقف على بطن أبى بكر حتى ما يعرف وجهه من أنفه ويغشى عليه حتى يفقد النطق والذاكرة ، ويعتقد الناس أنه مات ، فلما نطق آخر النهار كان أول ما تكلم به أن سأل عن رسول الله ﷺ (١)

---

(١) حياة الصحابة للكاندهلوى ص ٢٨٣ ، ١٧٤ ط بتصرف .

نعم . إن من سمات الشخصية الحرة عدم الرضا بالضيم ، ورفض حياة الدعة ، والأمان فى جوار الباطل ، إنها شخصية مرهفة الحس ، تستشعر ما ينزل بإخوانها من العذاب نازلا بها ، فتلقى بنفسها فى أتون المعارك الضارية لتثبت أنها جديرة بأن تلقى فى الله تعالى كما يلق إخوانها ، فكيف لا تعذب كما يعذبون ، ولا تبتلى كما يبتلون .

إنه تمرد الإرادة الصلبة على حياة الراحة ، والسلامة . ولكن على الباطل من أجل الحق .

إن عثمان بن مظعون يقول فى نفسه « والله إن غدوى ورواحى آمنا بجوار رجل من أهل الشرك ، وأصحابى وأهل دينى يلقون من الأذى والبلاء ما لا يصيبنى لنقص كبير فى نفسى .. ويخرج عثمان رضى الله عنه من جوار الوليد ، فتضربه قريش ويلطمه أحدهم لطمة يفقد فيها عينه ، فيقول الوليد : لقد كانت عينك غنية عما أصابها فقد كنت فى ذمة منيعة فيقول عثمان : « والله إن عينى الصحيحة لفقيرة إلى ما أصاب أختها فى الله، وإنى لفى جوار من هو أعز منك وأقد يا أباعبد شمس » (١)

لماذا تعذب هؤلاء ؟ بلال ، والصديق ، وابن مظعون ، وغيرهم كثير وكثير ؟ أفما كان بوسع هؤلاء أن يريحوا أنفسهم مما نزل بهم فلا يجهروا بإسلامهم بين أعداء محيطين بهم ، ومتربصين بهم ، ويكتموا إسلامهم فى صدورهم حتى تحين الفرصة للإعلان عنه ، والدعوة إليه ؟

وأجيب : بأنه ليس فى استطاعتهم ذلك ، حيث صنعت فيهم العقيدة الجديد أخلاقا جديدة، فى قمتها الاعتزاز بالمعز ، والمذل وحده..وأنى لمن كان هذا شأنه أن يخاف غير الله تعالى ، أو ينكس رأسه للطواغيت الجبابرة .

---

(١) المصدر السابق ص١٩٥ ، ٢٩٦ ط بتصرف

٢ — الإسلام والمعارضة :

ويواصل الرسول ﷺ بناءه لهذه الشخصية، فيرعاه بحكمته ، ويزيده تمسكا وصلابة ، ويؤمنه مما يتهدده من عوامل الذلة والضعف.. فيدفع مسلم إلى ضرورة التعبير عن رأيه ، والإدلاء بحجته ، والمشاركة الإيجابية فى مختلف الأمور التى تتعلق بحياة المجتمع وتقدمه .

جاء الإسلام بمبدأ الشورى ، وعرض الأمور على الناس ، ليبدى كل بوجهة نظره فيها .. فإذا درست الآراء .. قورن بينهـــا .. واختير منها أصلحها .. فشقت الأمة بذلك طريقها إلى الخير على وعى، ووضوح رؤية فأمنت بذلك أن تتعثر أو تنهزم ..

أنه ليس لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم .

ولقد أمر الله تعالى بالشورى ،فهى مبدأ دينى يفصل بمقتضاه فى أمور السياسة والاقتصاد والحرب.. وغيرها. قال تعالى : وأمرهم شورى بينهم(١) وقال تعالى : وشاورهم فى الأمر(٢).

فليس لمسلم أن يحيد عن هذا المبدأ ، وإلا فهو عاص لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم .

ذلك . لأن المخالفة هنا مصادرة لرأى المسلم، وهى عدوان على شخصيته والإسلام لم يجىء إلا للحفاظ على حقوق الانسان ، ومنها تكريمه واعزازه ولا معنى لهذا التكريم والاعزاز إلا أن يكون الانسان حرا فى ابداء رأيه فى مختلف الأمور .

---

(١) الشورى ٣٨

(٢) آل عمران ١٥٩

وإذا كانت «الديمقراطية» الحديثة فى أبهى صورها، وأنواعها.. تقوم على مبدأ التمثيل النيابى المعروف «الممثل لإرادة المجتمع تمثيلا صحيحا . . فلاريب انها لا تختلف فى جوهرها عن مبدأ الشورى فى الإسلام .. فكل منهما يلتقى فى ضرورة ايجاد الآراء المتعددة حول أمر من الأمور لاختيار أصلحها، وكل منهما يلتقى فى رفض الرأى الواحد، واقرار وجود المعارضة لا سيما فى النظم السياسية والحربية .

لكن نظام الاسلام الشورى يفضل هذه الديمقراطية من حيث أنه نظام مطبوع بطابع القداسة، فلا يحل لأحد أن يخالفه، أو يغير فيه أو يبدل، ومن حيث أنه يسبق هذه الديمقراطية فى الزمن وقد أقره الاسلام منذ أربعة عشر قرنا .

وأن الناظر فى الأمور التى استشار فيها النبى ﷺ صحابته رضوان الله عليهم، وكذلك الأمور التى عارضوه فيها، يتبين له مدى صدق الإسلام، وحرصه على تقرير هذا المبدأ، حيث جاء به على صورة التطبيق، والتجريب فجعل الرسول ﷺ يباشره بنفسه، ويطبق أمر الله تعالى له بالشورى .

فكان ﷺ يعرض الأمر على أصحابه «وهم رضوان الله عليهم يدلون بآرائهم فيه»، وكان منهم من يعارض الرسول ﷺ، ويظل متمسكا برأيه حتى ينزل الوحى بالقول الفصل .

وإقرار الرسول ﷺ لهذه المعارضة، هو تأصيل للشورى، واصرار على ترسيخها فى أعماق النفوس، وتسام بالارادة الانسانية المسئولة، وفتح المجال لشجاعة الرأى، وعدم الجبن فى مواجهة الأمور .

نعم : هى كذلك معارضة مقدسة، لأنها مقرة من الذى لا ينطق عن عن الهوى «إن هو إلا وحى يوحى»(١) .

---

(١) النجم ٤

ولقد شاء الله جلت حكمته أن يهيىء الفرص لإيجاد هذه المعارضة ، بتأجيله الفصل فى الأمور التى دارت حولها .

ومن هنا فإنه لا معارضة إلا فيما لم يفصل فيه الوحى ، ولم يبين الرسول صلى الله عليه وسلم حكمه.

عرض النبى ﷺ الموقف الحربى على أصحابه قبيل غزوة بدر(٢)، فأقر المهاجرون منهم أبو بكر وعمر رضى الله عنهما، منازلة قريش ومنهم المقدام ابن عمرو الذى قال : « يارسول الله : امض لما أمرك الله به ، فنحن معك ، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى : اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون .

ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا أنا معكما مقاتلون ، فو الذى بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد(١) لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه ،

---

(١) لما سمع رسول الله ﷺ بأبى سفيان مقبلا بتجارة ، قريش من الشام ندب المسلمين اليها وقال : هذه عير قريش فيها أموالهم فاخرجوا اليها لعل الله أن ينفلكموها ، فانتدب الناس فخف بعضهم ، وثقل بعضهم ، وذلك أنهم لم يظنوا أن رسول الله ﷺ يلقى حربا ، وكان أبو سفيان قد استنفر حين دنا من الحجاز يتجسس الأخبار حتى عرف باستنفار محمد ﷺ أصحابه له ولعيره ، فأرسل إلى قريش من يحذرهم ذلك ، فتجمعت قريش فى قرابة الألف وساروا حتى أتوا بدراً . وعلم الرسول ﷺ بنجاة العير ، وخروج قريش ، فعرض ما عرض على المهاجرين والأنصار ، راجع البداية والنهاية لابن كثير .

(٢) مدينة الحبشة .

فقال رسول الله ﷺ خيرا ودعا له بخير ، ثم قال رسول الله ﷺ ، أشيروا على أيها الناس وإنما يريد الأنصار ، وذلك أنهم كانوا عدد الناس وأنهم حين بايعوه بالعقبة قالوا : يارسول الله أنا برءاء من ذمك حتى تصل إلى دارنا فإذا وصلت الينا فأنت فى ذمامنا نمنعك مما نمنع به أبناءنا ونساءنا وكان رسول الله ﷺ يتخوف ألا تكون الأنصار ترى عليها نصرة إلا ممن دهمه بالمدينة من عدوه .

وأن ليس عليهم أن يسير بهم إلى عدو من غير بلادهم ، فلما قال رسول الله ﷺ ، ذلك قال له سعد بن معاذ : والله لكأنك تريدنا يارسول الله قال أجل قال : فقد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق ، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما أمرك الله فنحن والذى بعثك بالحق أن استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما يتخلف منا رجل واحد ، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدا إنا لصبر فى الحرب ، صدق عند اللقاء ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر على بركة الله ، فسر رسول الله ﷺ بقول سعد ونشطه ذلك : ثم قال سيروا على بركة الله وأبشروا فإن الله قد وعدنى احدى الطائفتين والله لكأنى الآن أنظر إلى مصارع القوم(١) .

---

(١) تفسير ابن كثير لقوله تعالى « كما اخرجك ربك من بيتك بالحق . » الأنفال .

٣ — شورى قبيل الغزوة وشورى بعدها :

تلك كانت مشاورة الرسول ﷺ أصحابه قبيل غزوة بدر ، أما بعدها وبعد أن نصر الله الإسلام على الشرك فيها ، وأسر المسلمون من أسروه من المشركين . . فقد قام النبي ﷺ كذلك باستشارة أصحابه رضوان الله عليهم أجمعين فى أمر هؤلاء الأسرى ، أيقتلون ، أم يؤخذ منهم الفداء . . ؟

جاء فى الحديث الذى رواه الإمام أحمد — واللفظ له — وأبوداود والترمذى .

عن ابن عباس حدثنى عمر بن الخطاب قال : نظر رسول الله ﷺ إلى أصحابه يوم بدر وهم ثلثمائة وتيف ، ونظر إلى المشركين فإذا هم ألف وزيادة فاستقبل النبى ﷺ القبلة وعليه رداؤه ثم قال : اللهم انجز لى ما وعدتنى اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام فلا تعبد بعد فى الأرض أبدا . . فقتل منهم سبعون رجلا ، وأسر منهم سبعون رجلا . واستشار رسول الله ﷺ أبابكر وعليا وعمر . فقال أبوبكر يارسول الله هؤلاء بنو العم والعشيرة والاخوان وإنى أرى أن تأخذ منهم الفدية فيكون ما أخذناه قوة لنا على الكفار وعسى أن يهديهم الله فيكونوا لنا عضدا فقال رسول الله ﷺ وما ترى يا ابن الخطاب ؟ ، قلت والله ماأرى مارأى أبو بكر ، ولكن أرى أن تمكننى من فلان قريب لعمر فأضرب عنقه ، وتمكن عليا من عقيل فيضرب عنقه ، وتمكن حمزة من فلان أخيه فيضرب عنقه حتى يعلم الله أنه ليست فى قلوبنا هوادة للمشركين ، وهؤلاء صناديدهم وأئمتهم وقادتهم ، فهوى رسول الله ﷺ ماقال أبو بكر ولم يهو ماقلت وأخذ منهم الفداء .

فلما كان من الغد قال عمر : فغدوت إلى النبي ﷺ وإلى بكر وهما يبكيان فقلت يارسول الله أخبرني ماذا يبكيك أنت وصاحبك فإن وجدت بكاء بكيت وإن لم أجد بكاء تباكيت لبكائكما؟

فقال رسول الله ﷺ « الذي عرض على أصحابك من أخذهم الفداء قد عرض على عذابكم أدنى من هذه الشجرة » — لشجرة قريبة — وأنزل الله تعالى « ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم ، لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم ، من الفداء ، ثم أحل لهم الغنائم ، وذكر تمام الحديث(١).

نعم . نزل الوحي هنا على هوى عمر رضي الله عنه ، ولم ينزل على هوى رسول الله ﷺ وصاحبه ، وفي ذلك إقرار لرأي دون آخر ، وهو بمثابة الحث للمسلمين جميعا على المزيد من حرية الرأي والتشبث بها ، فهذا هو الوحي يباركها ، ويحرص عليها ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى جاءت الآية تأكيدا لمبدأ الشورى الذي طبقه الرسول ﷺ ، وإعلانا بضرورة الالتزام بهذا المنهج كركيزة أساسية في اصلاح أمور المسلمين .

٤ — قصة المعارضة :

ولم يكن رأي عمر السالف هو الرأي الوحيد ، بل كانت هناك آراء أخرى لصحابة آخرين رأت مارآه عمر بشأن الأسارى ، من وجوب قتلهم فهذا أبو حذيفة بن عتبة لم يكتف بمجرد اظهار معارضته بل صمم عليها ، وأقسم بالله تعالى ليضربن عنق العباس عم رسول الله ﷺ بعد أن أمر رسول الله ﷺ بعدم قتلهم .

(١) البداية والنهاية للحافظ ابن كثير في باب غزوة بدر العظمى .

قال ابن اسحق : حدثنى العباس بن عبدالله بن معقل عن بعض أهله عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال يوم بـــدر : « إنى قد عرفت أن أناسا من بنى هاشم وغيرهم قد أخرجوا كرها لاحاجة لهم بقتالنا فمن لقى منكم أحدا منهم — أى من بنى هاشم — فلا يقتله ، ومن لقى أبا البحترى ابن هشام فلا يقتله ، ومن لقى العباس بن عبدالمطلب فلا يقتله فإنه إنما أخرج مستكرها » .

فقال أبو حذيفة بن عتبة أنقتل آباءنا وأبناءنا وأخواتنا وعشائرنا ونترك العباس ، والله لئن لقيته لألجمنه السيف ، فبلغت رسول الله ﷺ فقال لعمر بن الخطاب : يا أباحفص ، قال عمر والله إنه لأول يوم كناني فيه رسول الله ﷺ أبا حفص — أيضرب وجه عم رسول الله ﷺ بالسيف ؟

فقال عمر يارسول الله ائذن لى فأضرب عنقه فوالله لقد نافق ، فكان أبو حذيفة يقول بعد ذلك والله ما آمن من تلك الكلمة التى قلت ، ولاأزال منها خائفا إلا أن يكفرها الله تعالى عنى بشهادة ، فقتل يوم اليمامة شهيدا رضى الله عنه .

نعم أذعن عمر رضى الله عنه لرأى رسول الله ﷺ ، وأطاع ، بيد أن أبا حذيفة لم يذعن فى أول الأمر وأقسم ليضر بن عنق العباس رضى الله عنه ، ثم يستسمح عمر رضى الله عنه رسول الله ﷺ أن يضرب عنق أبى حذيفة لأنه قد نافق — فى رأى عمر — ولست هنا مع عمر رضى الله عنه فى وصفه أبا حذيفة بالنفاق ، لأن النفاق إظهار الإسلام وابطان الكفر ، وأبو حذيفة رضى الله عنه مؤمن بالله ورسوله ﷺ ، وهو من أهل بدر المغفور لهم ، ولو كان منافقا ماجهر بهذه الكلمة لأنها تغضب رسول الله ﷺ ولو كان منافقا لأضمر مايغضب رسول الله ﷺ وأظهر مايرضيهما ، لـكن الأمر هنا ليس كذلك حيث أنه جهر برأيه ، وأعلن صراحته ، وحلف بالله تعالى الذى يعبده .

ولعل أبا حذيفة رضى الله عنه لم يسمع علة النهى عن قتل العباس، وأن العباس وغيره قد أخرجوا إلى الحرب مستكرهين ، ولو عرف ذلك ما أكد رأيه بالقسم بالله تعالى ، على أنه رضى الله عنه قد أذعن أخيرا وأطاع كما أذعن عمر رضى الله عنه وأطاع .

وخوف أبى حذيفة رضى الله عنه من كلمة عمر رضى الله عنه التى وصفه بها ، والتماسه من الله تعالى أن يغفرها له ليست إقرارا من أبى حذيفة بالنفاق المكفر ، وإنما هو طلب التنزيه ، وتحرى البراءة من أى أمر مسىء حتى ولو كان هذا الأمر مجرد وصف وصفه به بعض زملائه ، دون تحرى الواقع بالدليل القاطع. إن التماس أبى حذيفة المغفرة من الله على تلك الكلمة ، إنما هو من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين ، على أى الأحوال ، فلقد كان عمر بن الخطاب وأبو حذيفة بن عتبة رضى الله عنهما ، وغيرهما ممن كان على رأيهما نماذج حية فى إظهار الرأى الآخر ، وحرية الرأى التى ربى عليها الرسول ﷺ صحابته رضوان الله عليهم أجمعين .

وتصعد المعارضة الاسلامية فى سلم القمة ، لتصل بالشخصية الاسلامية إلى أرقى ما وصلت إليه من حرية الرأى والفكر .

إنها هنا تمثل غضبة عارمة ، ولكنها لله ، ولرسوله ، وللمؤمنين .

غضبة كادت تطيح بالتفكير السوى الذى صنعه الاسلام فى نفوس هؤلاء الصحابة الأماجد رضوان الله عليهم أجمعين ، ولولا حنكة الرسول المعلم صلوات الله عليه وسلامه ، وحسن سياسته ، لحدث ما لا تحمد عقباه فى مسيرة الانقيادية ، والطاعة لمن يتنزل عليه الوحى .

والمعارضة هنا تعلن عن رفضها وتناقش ، الرسول ﷺ ، نفسه، ووجها لوجه ، وتذكره بوعده ، وما هو هذا الوعد — فى نظرها — يتخلف.. بيد أن الرسول ﷺ يجلى لها ما خفى عنها ، ويظهر لها ما لم تعرفه فى مضمون ما وعد به ؛ فهو ﷺ لم يخلف وعده ، وهو ﷺ فعل ما فعل عن

حكمة ، وحسن تصرف قضت به الظروف القائمة ، ويستفيد منه الإسلام .

فى صلح الحديبية(١) حسب سياق الإمام البخارى لعمرة الحديبية . . . . فقال عمر رضى الله عنه فأتيت رسول الله ﷺ فقلت ألست نبى الله حقا ؟ قال : بلى . قلت : ألسنا على الحق وعدونا على الباطل ؟ قال : بلى . قلت : فلم نعطى الدنية فى ديننا إذن ؟ قال : إنى رسول الله ولست أعصيه وهو ناصرى ، قلت: أولست كنت تحدثنا أنا سنأتى البيت فنطوف به ؟ قال : بلى . فأخبرتك أنا نأتيه العام ؟ قال: قلت : لا . قال : فإنك آتيه ومطوف به . قال : فأتيت أبا بكر فقلت : يا أبا بكر : أليس هذا نبى الله حقا ؟ قال : بلى . قلت : ألسنا على الحق وعدونا على الباطل ؟ قال : بلى : قال : قلت : فلم نعطى الدنية فى ديننا إذن . قال : أيها الرجل إنه لرسول الله وليس يعصى ربه وهو ناصره ، فاستمسك بغرزه فوالله إنه على الحق ، قلت : أليس كان يحدثنا أنا سنأتى البيت ونطوف به ؟

---

(١) خرج رسول الله ﷺ هو وأصحابه من المدينة ، وكانوا سبعمائة ، يريد زيارة البيت الحرام دون قتال ، وساق معه الهدى سبعين بدنة ، كل بدنة عن عشرة رجال ، ورأته قريش ، فظنت أنه سيقتحم عليها مكة ، فاستنفرت لقتاله بكل ما لديها . . . ثم حدثت بين الفريقين حادثات ومراجعات . حتى وصل بهما إلى وضع معاهدة الحديبية ، وكان من أهم شروطها ، وضع الحرب بين الفريقين عشر سنوات .

ومن أتى رسول الله ﷺ من أصحابه إلى المدينة بغير إذن وليه رده إلى المشركين ، ومن أتى المشركين من أصحابه لا يردونه إليه ، وأن يرجع المسلمون هذا العام ، ولا يدخلوا مكة ، وإذا جاء العام القابل دخلوها ، وظلوا فيها ثلاثة أيام ، وأهل مكة تاركوها لهم . وكانت هذه المعاهدة فى ذى القعدة سنة ست هـ بلاخلاف — انظر البداية والنهاية لابن كثير غزوة الحديبية ففيها إيراد كل شروطها .